بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كلية العلوم الاسلامية– قسم العقيدة والفكر الاسلام ـالمرحلة الرابعةـ تفسير آيات العقيدة ـ مدرس المادة: أ. د: محمد خليل ابراهيم.

المحاضرة الثانية : آيات العقيدة الخاصة بالتوحيد\ الآيات الامرة بوجوب النظر في معرفة الله تعالى.

لما كان الإيمان بالله جل وعلا أصل الأصول، وأول أركان الإيمان، وكانت حقيقة الإيمان أن يعرف العبد ربه الذي يؤمن به معرفةً يصل بها إلى اليقين، ويبلغ بها مرتبة الإحسان، كان الارتباط وثيقًا بين الإيمان ومعرفة الرحمن؛ فبحسب بمعرفته سبحانه وتعالى يكون الإيمان؛ فإن صحت المعرفة صح الإيمان، وإن فسدت المعرفة فسد الإيمان، وكلما زادت معرفة العبد بالله زاد إيمانه به، وزاد حبه له، وزاد تعظيمه له، وزادت خشيته إياه؛ قال نبينا ﷺ: ((**فوالله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية**)) وقبل الدخول في بيان الآيات الامرة بوجوب النظر في معرفة الله تعالى، لابد من ان نقف وقفة لمعرفة التوحيد وأشهر اقسامه عند الفرق الاسلامية.

المطلب الأول: تعريف التوحيد واقسامه.

ـالتوحيد لغة :مصدر للفعل (وحَّد ، يوحِّد) توحيدا فهو موحِّد إذا نسب إلى الله الوحدانية ووصفه بالانفراد عما يشاركه أو يشابهه في ذاته أو صفاته ، والتشديد للمبالغة أي بالغت في وصفه.

ـالتوحيد اصطلاحا :إفراد الله- تعالى- بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات. او هو: الإيمان بأنَّ الله واحدٌ في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شريكَ له في مُلكه وتدبيره، وأنّه وحدَه المستحقّ للعبادة فلا تُصرَف لغيره، وهو محور العقيدة الإسلاميّة، بل محور الدِّين كلّه، فالمقصود بالتوحيد هو تحقيق معنى شهادة (أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله)، الذي هو حقيقة دين الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمداً ﷺ.

تقسيم التوحيد.

ـاقسام التوحيد عند اهل الحديث والاثر.

تنوعت عبارات علماء أهل الاثر في التعبير عن أنواع التوحيد، ولكنها مع ذلك التنوع متفقة في المضمون، ولعل السبب في ذلك هو أن تلك التقسيمات مأخوذ من استقراء النصوص، ولم ينص عليها باللفظ مباشرة، ولذلك فمن العلماء من قسم التوحيد إلى قسمين هما:

القسم الأول: توحيد المعرفة والإثبات: ويريد به توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وسمي بتوحيد المعرفة؛ لأن معرفة الله عز وجل إنما تكون بمعرفة أسمائه, وصفاته, وأفعاله، والإثبات: أي إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات والأفعال.

القسم الثاني: توحيد القصد والطلب:ويراد به الألوهية، وسمي بتوحيد القصد

والطلب, لأن العبد يتوجه بقلبه ولسانه وجوارحه بالعبادة لله وحده رغبة ورهبة، ويقصد بذلك وجه الله, وابتغاء مرضاته.

ومنهم من قسمه إلى ثلاثة أقسام هي :توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الألوهية.

-أقسام التوحيد عند الصوفية هي:

الأول : توحيد العامة الذي يصح بالشواهد .

الثاني : توحيد الخاصة وهو الذي يثبت بالحقائق .

الثالث : توحيد خاصة الخاصة وهو قائم بالقدم.

-اقسام التوحيد عند المتكلمين هي: توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد في الأفعال.

-اقسام التوحيد في عند الشيعة الامامية هي: التوحيد في الذات والتوحيد في الصفات والتوحيد في الأفعال والتوحيد في العبادة.

- مشروعية تقسم التوحيد.

هذا التقسيم موجود مع بداية التصنيف والتدوين لمسائل العقيدة ، والعلماء قد سهَّلوا العلوم الشرعية على الناس بتبويبات وتقسيمات وتفريعات مختلفة وذلك حتى يكمل الفهم ويتم الاستيعاب واعتمدوا على التتبع والاستقراء للنصوص الشرعية، وكذلك كلَّ تقسيم لا بد له من دليل، فهل هذا صحيح؟ الجواب: لا؛ فإن التقسيم إما أن يكون تقسيمًا اصطلاحيًا أو تقسيمًا شرعيًّا فالتقسيم الشرعي هو التقسيم الذي تنبني الأحكام عليه بمجرد التقسيم، ومثاله: تقسيم الكفر إلى نوعين أكبر وأصغر، وهذا النوع من التقسيم يحتاج إلى دليل؛ لأن الحكم لا يكون إلا بدليل، أما التقسيم الاصطلاحي: فهو تقسيم المتشابهات إلى أقسام بوصفٍ جامع بينها دون بناء الأحكام عليها بمجرد التقسيم، فهذا لا يحتاج إلى دليل؛ إذ لا مشاحة في الاصطلاح، وهذا التقسيم إنما علم من خلال الاستقراء، وبه حصل ضمُّ النظير إلى النظير، وهو مثل قول النحاة بتقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف، وثمَّة أمرٌ آخر لا بد من ذكره هنا، وهو أن الذي يعترضون على تقسيم اهل الحديث والاثر، فمثلا الأشاعرة أنفسَهم يقسِّمون التوحيد إلى ثلاثة أنواع: توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الأفعال، فهلا أخبرونا عن دليلهم الذي استدلوا به لهذا التقسيم؟! فما كان جوابًا لهم فهو جوابٌ لهم، وهذا كله على فرض أن هذا التقسيم لم يرد في كلام الصحابة والتابعين والمحدثين، فكيف وقد ورد؟ وذا نظرنا في كتب العلماء السابقين نجد فيها ما يدل على أن التوحيد مقسَّم إلى أقسام.

المطلب الثاني: الآيات الامرة بوجوب النظر في معرفة الله تعالى.

لما كانت معرفة الله تعالى بهذه الأهمية والخطورة ، وجب علينا أن نسأل أنفسنا كيف نتعرف على ربنا ؟ فأما كيف نتعرف على الله تعالى معرفة صحيحة سليمة فيكون من خلال قراءة القرآن الكريم وتدبره أما الطرق الموصلة إلى معرفة الله تبارك وتعالى كثيرة ومتعددة وليست محصورة في عدد معين، ذلك لأننا إذا أمعنا النظر في هذا الكون الواسع الفسيح، لوجدنا أن كل شيء فيه لهو دليلٌ واضح على

وجود الله وطريق إلى معرفته سبحانه، بشرط أن تتجاوز نظرتنا النظرة المادية الظاهرية للأشياء، وتليها نظرة ثاقبة وفاحصة تصل إلى بواطن الأشياء.
والجدير بالذكر أن أسلوب القران الكريم في الدعوة إلى معرفة الله تعالى هو دعوة الناس إلى النظر والتفكر في الظواهر المذكورة، وفي ما يلي نذكر بعض النماذج الآيات العقدية في القرآن الكريم الدالة على وجوب النظر في معرفة الله تعالى:
١.قال تعالى:**{ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون}** (سورة الطور:٣٥-٣٦).
وجه الدلالة: تدل هذه الآية على ان من تأمل في المخلوقات أدرك أن هناك إلهاً خالقاً هو الذي أوجدها، لأن الشيء الموجود لا بد من موجد، إذ يستحيل وجوده من ذاته، ويستحيل وجوده من غير موجد، وآية خلق الإنسان من أكثر الآيات دلالةً ووضوحاً في الاستدلال على وجود الله تعالى. ولقد اهتم القرآن الكريم بهذا الدليل، فتارة يذكر الإنسان مجملاً مثل قوله تعالى:" اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق" (سورة العلق:١-٢)، وتارة يذكر مفصلاً مثل قوله تعالى" ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقةً فخلقنا العلقة مضغةً فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشاناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين" (سورة المؤمنون:١٢-١٤). فذكر القرآن الخلق مطلقاً ومقيداً، ليذكر الإنسان في جميع أحواله أن هذا الخلق لا يد من خالق، وذكر خلق الإنسان من علق ليكون الإنسان نفسه هو الدليل الذي يستدل به على خالقه.
٢. قال تعالى:**{ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}** البقرة: ١٦٤.
وجه الدلالة: إن الله تعالى يخاطب بآيات خلق السموات والأرض – وما فيهن من الإنس والحيوان والنبات والشمس والقمر وغير ذلك – القلب البشري والعقل البشري بديلي الخلق. ولا يخاطب بهذه الآيات الإدراك البشري خطاباً جدلياً، لاهوتياً أو فلسفياً ولا خطاباً عاطفياً يذهب أثره سريعاً، ولكن يخاطبه خطاباً عقلياً يقينياً موحيا موقظا للفطرة حيث يواجهها بحركة الخلق والإحياء والتدبير، يقول تعالى :" الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعلون هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً واجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون " (سورة الأنعام: ١-٢). وهناك أيات اخرى كثير منها قوله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ يونس: ١٠١. وقوله :﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ...﴾ العنكبوت: ٢٠. وقوله :﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ الروم: ٢٢. وقوله :﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ الطارق: ٥. وقوله :﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ♦ وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ ♦ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ♦ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ الأعلى: ١٧-٢٠. وقوله :﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ

لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ آل عمران: ١٩٠.إلى غيرها من الآيات الكثيرة التي تدعو إلى التفكر والتدبر في الأشياء بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى.
ومما تقدم من آيات عقدية يمكن ان نخرج بنتيجة مفادها هي: وجود ترابط تام بين أجزاء متنوعة ومختلفة في المخلوقات من حيث الكمية والكيفية في الآيات الامرة بوجوب النظر في معرفة الله تعالى، وان الهدف والغاية من إيجاد هذا العالَم المنظم، هي توحيد الله سبحانه وتعالى وعبادته.

المطلب الثالث. طرق معرفة الله تعالى.
إن طُرق معرفة الله تكون بعدد الظواهر الطبيعية، ابتداءً من الذرة وانتهاءً بالمجرة، لذا فإننا نجد رجال الوحي ودعاة التوحيد يركزون في إرشاد الناس الى معرفة الله عز وجل على دعوة الناس إلى النظر في الكون والإمعان في النُظُم والسنن الموجودة فيه ومعرفة الله تعالى على نوعين:
١.**معرفة إقرار.** وهذه اشترك فيها الناس جميعًا؛ الأبرار والفجار.
٢. **معرفة حب وتعظيم وإجلال.** وهذه حقيقة الإيمان بالله؛ فإن المحبة والتعظيم والإجلال فروع عن المعرفة، فمن لم يعرف ربه حق المعرفة، فلن يحبه المحبة اللائقة به، ولن يعظمه التعظيم الذي يستحقه، ولن يقدره حق قدره، ومتى صحت هذه المعرفة للعبد أثمرت له ثمرات: منها: السكون والطمأنينة والرضا وذوق طعم الإيمان، وذلك لمعرفته ربه بالعدل، والحكمة، والعلم، والرحمة، وحسن الاختيار، فكلما كان به أعرف كان به أرضى، فإن ضعفت هذه المعرفة ضعف معها الرضا بحسبها، فإن عدمت عدم، ومعرفة الله تعالى لها بابان هما:
أ . التأمل والتفكر في آيات القرآن كلها، والفهم الخاص عن الله ورسوله ﷺ.
ب . التفكر في آياته المشهودة، وتأمل حكمته فيها وقدرته ولطفه وإحسانه وعدله، وقيامه بالقسط على خلقه.
المطلب الثالث. اقوال الفرق الإسلامية في النظر في معرفة الله تعالى.
افترقت الطوائف في أصل المعرفة بالله على ثلاثة أقوال:
القول الأول: أن معرفة الله لا تحصل إلا بالنظر، وهذا قول كثير من أهل الكلام من معتزلة وماتر يدية وأشعرية، ومن وافقهم.
القول الثاني: أن معرفة الله تحصل ضرورة في قلوب العباد، فالله تعالى يبتدي تلك المعرفة اختراعاً في قلوب العقلاء البالغين من غير سبب يتقدم ومن غير نظر، وقد قال بهذا القول كثيرٌ من أهل الكلام والصوفية والشيعة وغيرهم، كما يحكى عن بعض المعتزلة.
القول الثالث: أن معرفة الله يمكن أن تقع ضرورةً، ويمكن أن تقع بالنظر، وهذا هو قول جمهور طوائف المسلمين، وقال به جماعة من المتكلمين، يتلخص مذهب أهل السنة والجماعة ومن وافقهم في معرفة الله تعالى في ان معرفة الله تعالى والإقرار بوجوده أمر فطريٌّ ضروري، هذا هو الأصل عند كل بني آدم، وهو الذي يقر به عامة الناس من مختلف الديانات، وهذا الإقرار هو من الفطرة التي فطر اللهُ الناسَ عليها، كما أنه داخل الميثاق الذي أخذه على بني آدم وهم في ظهور آبائهم.

وختاما فان معرفة الله ﷻ تقتضي منا النظر إلى ما خلق وهذا النظر واجب وهو من وسائل معرفته، لأنه من عرف نفسه فقد عرف ربه، وإذا عرف الإنسان ربه جل جلاله استطاع أن يتوكل عليه وحده. وان يميز بين حلاله وحرامه، من آثار معرفة الله أن نتنافس في الخير والقرب من الله ﷻ.